الأدب الرقمي: خصائص النصّ ومميزات القارئ.

Digital literature: characteristics of the text and the qualities of the reader.

ميلود شنوفي

جامعة امحمد بوقرة بومرداس، الجزائر، m.chenoufi@univ-boumerdes.dz

تاريخ الاستلام: 2022/09/06 تاريخ القبول: 2023/02/09 تاريخ النشر: 2023/06/05

ملخص: يوصف النصّ الأدبي الرقمي، والتفاعلي منه خاصة، بأنّه نصّ مفتوح على إمكانات قرائية متعدّدة ومختلفة، وذلك تبعا لتعدّد القراء واختلاف مرجعياتهم الجمالية ومعارفهم التكنولوجية من جهة، واختلاف أزمنة قراءتهم للنص وتلقّيه من جهة ثانية. ومردّ ذلك بشكل أساسي إلى تنوّع مصادر العلامات اللّغوية التي يستعملها النص الإبداعي الرقمي والتفاعلي وتسهم في تأثيثه: الصور، الحركات، الأصوات، وغيرها.. مما يتيحه الحاسوب من برمجيات تسهم بشكل فعّال في بناء نصّ مترابط يخبر عن تعدّدية ثقافية بالدرجة نفسها التي يستقطب بها شرائح من القراء متباينة اجتماعيا وثقافيايسعى هذا المقال إلى رصد خصائص النص الإبداعي الرقمي ومميزات قارئه المختلف من حيث دوره في ملء فراغات النص ودمج معارفه الأدبية السابقة وأنساقه المعرفية المستقرة، في سبيل إرساء ثوابت جديدة سيغيّرها بدورها زمن لاحق

كلمات مفتاحية: الأدب الرقمي.، الأدب التفاعلي.، القارئ الرقمي.، النص المترابط.، الإبداع الرقمي.

Abstract: The digital literary text, and the interactive one in particular, is often described as an open text to multiple and different reading possibilities. This is dependent on the multiplicity of readers and their different aesthetic references and technological knowledge on the one hand, and the different times of their reading and receiving the text on the other hand. This is mainly due to the diversity of linguistic signs sources used by the digital and interactive creative text and contribute to its furnishing such as: images, movements, sounds, etc.. The software provided by the computer contributes effectively to building a coherent text that tells about cultural pluralism to the same degree that it attracts segments of society. Readers are socially and culturally differentiatedThis article seeks to monitor the characteristics of the digital creative text and the characteristics of its different reader in terms of its role in filling the blanks of the text and integrating its previous literary knowledge and stable cognitive patterns, in order to establish new constants that in turn will change at a later time

Keywords: digital literature; interactive literature; digital reader; hypertext; Digital creation.

1. مقدمة:

خلّف عصر التقنية و زمن العولمة تزاوج التكنولوجيا العصرية وأشكال التعبير الأدبي والفني، وكانت نتيجة ذلك ميلاد هذا الجنس الأدبي الهجين الذي صار يسمّى "الأدب الرقمي" و "الأدب التفاعلي" و "الأدب الإلكتروني" عند آخرين ، وقد تجاوز في طريقة كتابته ونشره وقراءته الوسائط التقليدية من كتاب ومجلة وغيرها، إلى وسائط تكنولوجية ورقمية حديثة قائمة على تقنيات برمجية وتفاعلية هي الأخرى من مقتضيات عصر التكنولوجيا والرقمية، صارت بديلا لنشر الثقافة وبشكل خاص الفنون والآداب ونقدها.

يطرح هذا المقال إشكالية محدّدة قوامها ماهية هذا الجنس الجديد و ماهية خصائصه البنائية التي تجعله مختلفا عن المعروف والشائع من أجناس التعبير الأدبية و مميّزات قارئه والوظائف المنوطة به: هل من خصوصية ثقافية أو معرفية لقارئ هذا الجنس ؟

تروم عناصر الإجابة المشكّلة للتركيبة المنهجية للمقال بسط القول في ما يسمح بمعاينة ما قدّمته نظرية الأدب الرقمي التي بدأت تتشكل ملامحها عبر ما يقدّمه النقاد و الأدباء حول مفهوم الأدب الرقمي وخصائصه البنائية ومميزات قارئه ووظائفه، ممّا يعين على كشف خصوصية البناء الفنّي في هذا الجنس التعبيري المستحدث و التي تمنحه أحقيته في الوجود و شرعية تصنيفه ضمن أجناس الأدب.

2. في مفهوم الأدب الرقمي:

يظهر الأدب الرقمي في جوهر التحديد إحالة على "النص الأدبي الذي ينتفع إلى أقصى حدّ من التكنولوجيا وتطبيقاتها، عبر وسيط إلكتروني قادر على أن يكون مكوّنا أصيلا بين المبدع والنّص والمتلقّي في وقت واحد، وضمن فضاء رحب لحرية المشاركة في العملية الإبداعية."[1] وهو تعريف، يحدّ المفهوم من بعض الجوانب و يترك بعضها الآخر بلا قيد، فهو لا يحدّد البنى التكوينية لهذا الأدب ولا يشير إلى أبعاده الجمالية، بقدر ما يركّز

على خاصية انتفاعه من التكنولوجيا وعلى وسيط نشره وكأنّ هذه العناصر لوحدها قادرة على تمنح هذا الجنس التعبيري صفة الأدب.

تعرّف الناقدة الإماراتية الرائدة في مجال تخصّصها "فاطمة البريكي" الأدب الرقمي بالقول:" يمثّل هذا المصطلح جميع النصوص الأدبية التي تقدّم عبر الوسيط الإلكتروني، أي باستخدام النظام الثنائي الرقمي."[2] وهي تعتقد أن النصّ الأدبي الرقمي لا يختلف عن النصوص الرقمية المختلفة المقدّمة عبر الوسيط الإلكتروني، ولكن تبقى له ميزة خاصة، وهي أنه أسرع في وصول المبدع والنّص إلى القارئ والناقد من النّص الورقي، وبسبب ذلك فهي ترى في "الأدب الرقمي" بطاقة هوية لأيّ أديب جديد يريد أن يقدّم نفسه مبدعا عبر الوسيط التكنولوجي. وقد توسّع انتشار النصوص الأدبية الرقمية في مستهلّ العلاقة الجديدة التي ربطت الأدب بالتكنولوجيا، ورغم كثرة الأشكال التي ظهر بها النص على الوسيط التكنولوجي منذ بداية هذه العلاقة، إلا أن النص الرقمي سيظلّ موجودا دائما، وأنّنا لا نستطيع أن نستغني عنه لمجرّد أنّه يمثّل الصورة الأوّلية لعلاقة الأدب بالتكنولوجيا.[3]

وهناك من لا يضع حدّا بين مصطلحي"الأدب الرقمي" و"الأدب التفاعلي"، فيعرّفون"الأدب التفاعلي" بما يصلح لأن يكون تعريفا "للأدب الرقمي" باعتباره: " جنسا أدبيا جديدا تخلّق في رحم التقنية، قوامه التفاعل والترابط، يستثمر إمكانات التكنولوجيا الحديثة، ويشتغل على تقنية "النّص المترابط Hypertexte" ويوظّف مختلف أشكال الوسائط المتعدّدة، يجمع بين الأدبية والإلكترونية."[4] فلولا كلمة "التفاعل" التي وردت في هذا التعريف لما كان على مستوى البنية اللّغوية للمفهوم ما يجعله مختلفا عن "الأدب الرقمي.

تخبر معاينة مجموعة التعريفات الخاصة بـ"الأدب الرقمي" عن صعوبة واضحة في صياغة تعريف يحقّق الإجماع لدى كلّ النقاد من حيث مفهوم هذا الجنس فهو عند أحدهم:" كلّ شكل سردي أو شعري يستعمل الجهاز المعلوماتي وسيطا، ويوظّف واحدة أو أكثر من خصائص هذا الوسيط."[5] وهو عند آخر:" أدب لم يتخلّ عن اللّغة في بنائه، ولا يمكن إنتاجه إلّا عبر برامج إلكتروني.. يزوّد النص بالمؤثرات الخارجية، كالصورة والصوت والحركة

والرابط واللّون وغير ذلك."[6] لكن ما يلفت الانتباه حقا في مسألة تعريف "الأدب الرقمي" هو الخلط الواضح بين مصطلحات كثيرة مثل: الأدب الرقمي، الأدب التفاعلي، النص الرقمي، ومصطلحات أخرى وجدت قبل ميلاد الأدب الرقمي مثل: النص المترابط، النص المتشعّب، النص الفائق، النص الإلكتروني...وغيرها.

رغم الانتشار الواسع لهذا الجنس التعبيري المستحدث، وليد عصر التكنولوجيا و الرقمنة، والتقبل العام الذي لقيه من فئة واسعة من القراء والنقّاد على حدّ سواء، فإن ذلك لا يعني بشكل مطلق التسليم بأحقيته في الوجود وبشرعية انتسابه للأدب بشكل عام، والسبب، فيما يمكن معاينته من آراء بعض النقاد والمشتغلين على نصوص الأدب الرقمي ، "هو أنّ التجارب الإبداعية الرقمية–حتى الآن– تختلف عن بعضها البعض ، ويختلف فيها مقدار توظيف التكنولوجيا والتطبيقات الرقمية، ويختلف فيها مقدار حضور الكلمة/اللّغة، وقد نستطيع تحديد مواضع تحقّق "الأدبية" لكل "عمل" على حدة، لكن ليس على صورة تأسيس نقدي رقمي عام."[7]

في دراسة موضوعها "النقد الرقمي/ التفاعلي" ضمن كتاب يحمل عنوان"الثقافة الإلكترونية، مدارات الرقمية" يطرح الباحث في قضايا التكنولوجيا والأدب الرقمي "عبد النور إدريس" عددا من القضايا ذات الطابع الإشكالي فيما يخص شعرية النصوص الأدبية الرقمية، وهو يرى أنّه:

- إذا كان المبدع الرقمي غير مطالب بالتخصص في الإعلاميات، فكيف يقنعنا برؤيته الرقمية؟.
- وإذا كان حيّز النقد الرقمي ينصبّ على آليات اشتغال النص الرقمي، فكيف لهذا النقد أن ينتقد الكاتب بتصوّرات خارجة عنه؟.
- وإذا كانت تجربة النّص الرقمي تتجاوز الكاتب ذاته، أيمكن لها أيضا أن تتجاوز الناقد؟ ...كيف نتصوّر مهندس إعلاميات ناقدا أدبيا رقميا دون مرجع؟."[8]

وهي تساؤلات يمكن أن يقرأ فيها الإنسان المتخصّص قلقا مشروعا حول أحقية "الأدب الرقمي" في الانتساب إلى الأدب، بل شرعية وجوده أصلا، مثلما يمكن أن يفهم من قراءة "أحمد زهير الرحاحلة" لهذه التساؤلات، والتي يجعل من الإجابة عنها منطلقا لشرعنة وجود الأدب الرقمي.

فهل ما ينتج عن تزاوج الأدب والتكنولوجيا منتج أدبي أم منتج تقني؟[9] أم هل هو منتج هجين؟ وإذا كان كذلك فهل تحول الأدب من تعبير جميل بلغة طبيعية عن قضايا الإنسان في الحياة والوجود وعن مشاعره وأحاسيسه إلى تعبير بلغة غير طبيعية عن مسائل تقنية ورقمية تخص الإنسان؟ والجواب الممكن طبعا ليس إلاّ افتراضا أنه إذا كان المنتج هو أدب، فهذا يعني صلاحية المناهج النقدية المعروفة لدراسة هذا المنتج ونقده، وإذا كان المنتج تقنيا، فإنّ هذا يعني بدوره ضرورة البحث عن مناهج نقدية جديدة تكون صالحة لدراسة هذا المنتج الجديد وإجراءات جديدة تنسجم مع طبيعة النصوص الجديدة.

3. في مفهوم الأدب التفاعلي:

يخبر هذا العنوان أنّ "الأدب الرقمي" ليس هو "الأدب التفاعلي" وهناك على الأقل اختلاف أو فرق بين المصطلحين يجعل من كليهما موجودا ومتميّزا عن الآخر. فما هو "الأدب التفاعلي" وما هو وجه اختلافه عن "الأدب الرقمي"؟

إذا كان "الأدب الرقمي" على ماهو عليه من الصورة التي تمّ تقديمه بها، فإن تحقّق "التفاعلية" فيه بما يجعله "أدبا تفاعليا" مشروط بمساهمة القارئ في بناء النص الإبداعي التي لا تقلّ أهمية عن مساهمة المبدع نفسه، و يمكن التحقّق من التفاعل برأي "سعيد يقطين" عبر معاينة "العمليات التي يقوم بها المستعمل وهو ينتقل بين الروابط لتشكيل النصّ بالطريقة التي تفيده. وهو بذلك يتجاوز القراءة الخطية التي يقوم بها قارئ الكتاب المطبوع."[10] لذلك فهو يعرّف الأدب التفاعلي بأنّه:" مجموع الإبداعات التي تولّدت مع

توظيف الحاسوب، ولم تكن موجودة قبل ذلك، أو تطوّرت من أشكال قديمة، ولكنّها اتخذت مع الحاسوب صورا جديدة في الإنتاج والتلقّي."[11]

بينما يغدو "الأدب التفاعلي" عند "فاطمة البريكي" هو الأدب "الذي يعتمد على تفاعل المتلقي مع النّص من جهة، ومع المبدع من جهة أخرى، ومع بقية المتلقين من جهة ثالثة."[12] وهي لا تركّز في مفهومها للأدب التفاعلي،كما يبدو، إلّا على عنصر التفاعل الذي تشتق منه صفة التفاعلية وتربطها بالقراء و المتلقّين.

ويرى "أحمد زهير الرحاحلة" أنّ "التفاعلية" صفة للنص الإبداعي الرقمي، وليست أحد خصائصه البنائية، لأنها موجودة قبل ذلك في النص الورقي، ولهذا السبب يمكن الحديث عن مستويات "للتفاعلية" قوامها: التفاعلية الأدبية: **وهي تلك** التي تنتجها بنية النّص مع فعلي القراءة والتلقّي دون اعتبار للوسيط. والتفاعلية التقنية: التي تنقسم بدورها إلى قسمين هما: تفاعلية ذاتية موازية للتفاعلية الأدبية وذات صلة بها، وتفاعلية موضوعية يمكن معاينتها في طبيعة التطبيقات التكنولوجية المستخدمة، وتحديثاتها المستمرّة.[13] وهو يقدّم مجموعة من الاشتراطات التي تحقّق وجود "الأدب التفاعلي" كما يوصي بها النقد، ويوجزها في مجموعة من العناصر قوامها تحديد الأدب التفاعلي بأنّه[14]:

- جنس أدبي يقدّم عبر وسيط تكنولوجي.
- لا يمكن أن يقدّم مطبوعا على الورق.
- يتّكئ على تقنية التشعيب/ الترابط.
- يوظّف التقنيات الرقمية و الوسائطيات المتعدّدة.
- يعطي مساحة موازية للمتلقّي للمشاركة(حذفا/ إضافة/ تعديلا).
- يظهر حساسية مفرطة تجاه الحدود.

إنّ مسألة التفاعلية في الأدب الرقمي إشكالية، قوامها: "هل يأخذ العمل (صفة التفاعلية) لمجرّد ارتباطه بالوسيط الإلكتروني واحتوائه على روابط تنتج مسارات لا خطيّة؟

أم أنّ التفاعلية تتأتّى من قبل المتلقّي الذي يستجيب للروابط والعقد ويقوم بتفعيلها؟ هل هناك معايير محدّدة لإدراج التشعيب أو تثبيت الرابط فوق كلمة أو رمز أو أيقونة بعينها؟ أم أنّ المسألة مجرّد اختيار من المبدع أو حتّى المخرج الذي يساعده على تحقيق التشعيب لنصّه.؟"[15] الثابت في كتب النقد المتخصّصة هو أنّ الأدب التفاعلي يبني سماته الأساسية من حقل تلقيّه رغم اختلاف مستويات القراءة بين متلقٍ أكاديمي متخصّص وآخر عادي، مع ذلك فإن مستوى التفاعل الذي يمكن أن يحقّقه نصّ رقمي بوصفه منتوجا ضمن وسيط جماهيري هو شكل مصداقية المعلومة، وذلك لدورها في تأسيس ذوق المتلقّين وتربيته وتهذيبه، ذلك أنّ النصّ الرقمي على الشبكة يعيش، والكلام لعبد النور إدريس، من أجل الآخر المتلقّي الذي يفتح مغالق النصّ بمساعدة مؤلّفه بشكل مستمر، و هو يسمّي هذا النص "النص الترابطيhyper fiction" وهو نصّ يستخدم النص التشعيبي، وغيره من المؤثرات الرقمية الممكنة، يكتبه كاتبه ويحتوي على إمكانية داخله تسمح للقارئ بالاختيار بين التنصيصات السردية المختلفة التي يتركّب منها هذا النّص.[16]

أمّا النص التفاعليinteractive fiction فهو "نصّ يستخدم النّص التشعيبي أيضا، وباقي الموثرات الرقمية الممكنة، ولكن يكتبها أكثر من كاتب، أي يشترك في كتابتها عبر النت عدّة مؤلّفين، وتكون مفتوحة لتفاعل المتلقّين في كتابتها."[17]

وعموما فإنّ دراسة "التفاعلية" في أيّ نصّ رقمي تقوم على أساس إبراز العناصر المدرجة في النّص الأدبي والتي تقوم بتحفيز المتلقي على المشاركة في بنائه جنبا إلى جنب مع المؤلّف، لذلك فإن أبسط تعريف للأدب التفاعلي هو ما يقول إنّه:"الأدب الذي يوظّف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد، يجمع بين الأدبية والإلكترونية، ولا يمكن أن يتأتى لمتلقّيه إلّا عبر الوسيط الإلكتروني، أي من خلال الشاشة الزرقاء. ولا يكون هذا الأدب تفاعليا إلّا إذا أعطى المتلقّي مساحة تعادل، أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنّص."[18]

4. خصائص الأدب الرقمي:

تبدو خصائص الأدب الرقمي مثلما تعرضها المراجع المتخصّصة ذات طابع تقني تميّز النصّ الرقمي، وتسهم في خلق أدبية خاصة قوامها المزاوجة بين أكثر من لغة، وأكثر من تقنية، وذلك بخلاف المفهوم المتعارف عليه للأدبية في الموروث النقدي، لذلك فإنّه "حتى أولئك الذين لم يغب عن وعيهم القيمة الأدبية للأعمال التي يبدعونها رقميا فقد كانوا مهتمين بإظهار الجماليات الأدبية من خلال الجوانب التكنولوجية. ومن نتائج هذا...أنّ حضور الكلمة/ اللّغة قد تراجع تراجعا حادّا لصالح التطبيقات التقنية، واجتهد بعض المبدعين في التعويض عن غياب أو تراجع الكلمة بأدوات غير أدبية على نحو لامس إشكالية التجنيس الأدبي."[19]

وهكذا فإن الكاتب المنشئ لم يعد يكتفي "بأفكاره الإبداعية، ومقدرته البلاغية وحساسيته الجمالية لإبداع جنس أدبي أو غير أدبي بالصفة الرقمية، فقد بات مطالبا بتعلّم لغة جديدة هي لغة البرمجة، وبحاجة لدراية وخبرة بالتعامل مع البرامج والتطبيقات الإلكترونية، كمعالجات الصور والأصوات، والحركة، والتمثيل ثلاثي الأبعاد، ولغة الامتداد الشبكي، والبريد الإلكتروني، وتصميم الصفحات، وإدراج الارتباطات التشعيبية، واحتراف التنسيقات عبر النوافذ...إلخ. حتى كلمة كاتب لم تعد تكفي."[20]

لذلك لم تعد كلمات اللّغة الطبيعية هي ما يخلق القيمة الإبداعية للنصوص الأدبية والشهرة الفنية لأصحابها، إذ لم تعد عبقرية اكتشاف العلاقات الجديدة بين الكلمات التي تخلق التوهّج الجمالي والدهشة أثناء القراءة والتحليل النقدي هي ما يصنع جمالية النصوص و يصنّفها في خانة "الأدب"، لم يعد ذلك يشكّل إلا جزءا من العملية الإبداعية برمّتها، بعدما صارت التكنولوجيا وتطبيقاتها الرقمية هي محور الدراسة الجمالية وموطن تحقّق الأدبية في النصوص الرقمية. فكيف تحقّق التطبيقات التكنولوجية أدبية " الأدب الرقمي" وتمنحه خصوصيته؟

يعتقد كثير من النقاد أن التنسيقات التي يمكن الاستعانة بها في تأطير النص الأدبي وتأثيثه تسمح بـ"انتفاع النص الأدبي بصورة عامة من الوسائط التكنولوجية... ويبقى النّص منتسبا للأدب ما دام ارتباطه بهذه الوسائط ليس عضويا أو وجوديا. فإن كان الأمر على

غير هذا الوجه فتلحق هذه الأشكال بالإبداعات الرقمية التي تنتظر اكتمال التشكيل، وإمكانية التجنيس، وتُخرج من دائرة الأدب، وتعامل على أنّها برامج وتطبيقات إبداعية رقمية، مع بيان أنّ الأمر على المستوى الأدبي ممكن ويسير في النصوص السردية، وصعب ومتعذّر في النصوص الشعرية."[21]

يمكن معاينة مجموعة من سمات النصّ الرقمي عند بعض النقاد والدارسين، بعضها مشترك رغم اختلاف الوحدات اللّغوية التي تحدّده، وبعضها مختلف بحسب المفهوم الذي يتبنّاه صاحبه حول الجنس التعبيري الناتج من تزاوج الأدب والتكنولوجيا، أهو "أدب رقمي" أم "أدب تفاعلي" وهي:

- الانتشار: بمعنى أن النشر الإلكتروني يتجاوز حدود المكان والزمان، فالكاتب ينشر فيتلقّى القارئ ثمّ يمرّر المقروء إلى الناسخة بدل السلسلة التقليدية التي تطبع المنتوج في المطبعة ثمّ تقوم المؤسّسة المكلّفة بالتوزيع بتوزيعه ليستقرّ عند القارئ.
- النص باعتباره وثيقة إلكترونية تحتوي على تقنية الكتابة التفاعلية يستحيل تحويله إلى ورق.
- النص هو لوحة رقمية كما حدّده "بيير شويتزر" مخترع مشروع @folio.
- النص تجميع لتقنيات رقمية مختلفة تستخدم في صفحات الويب على شاكلة تقنية النص المترابط، والنص المتشعب، والمؤثرات المختلفة كالصوت والصورة والحركة، وفن الجرافيك.
- النصّ جسد غير منفصل عن شاشة الحاسوب التي تتسرّب إلى الأدب لتتحوّل إلى حوامل منتجة للمعنى وخالقة له، وفي العالمين الغربي والعربي نصوص كثيرة يمكن التدليل عليها بهذا الخصوص.
- التخييلية: فللنّص الرقمي التشعبي أسلوبه الخاص المتخيّل بالتزامن مع انتشار البرمجيات، إذ أن هناك برامج صمّمت خصيصا للنّص الأدبي الرقمي منها:(story (2.0

space 1990) وهو أداة لتنمية النص التشعبي على المستوى المهني، وهو متاح ضمن أنظمة إستغيتEstgate Systems التي نشرت مجموعة من الأعمال الأدبية السردية الرقمية على غرار أعمال ميكاييل جويس: بعد الظهر، شيلي جاكسون: خليط فتاة، ستيوارت مولتروب: حديقة النص، جودي مالوي: إلى الأمام في كلّ مكان. كما نشرت مجموعة من الأعمال الشعرية الرقمية، على غرار عمل "رايمون كينو": مائة ألف مليار قصيدة.

- فعل التلقي: يتوفّر النصّ الأدبي الرقمي على إمكانية القراءة والتلقي بواسطة إمكانية إنتاجه، بمعنى قراءته على شاشة حاسوب موصولة بشبكة الأنترنت[22].

وتحدّد "فاطمة البريكي" للأدب الرقمي مجموعة من الميّزات قوامها:[23]

أ. جاهزية النص: بمعنى أن النص الأدبي الرقمي قطعة قابلة للتعديل على الدوام من قبل المبدع.

ب.سهولة النشر: أي أن النصّ الرقمي يتميّز بفضاء نشر واسع، حيث تجد جميع الأعمال فضاء رحبا للتداول دون رقابة، وهذا ما قد يزيد من فرص نجاح أي كاتب انطلاقا من الشبكة.

ج. النقل والحفظ: فما يميّز النصوص الرقمية هو سهولة نقلها و حفظها وبحكم حجمها فهي لا تشغل مساحة كبيرة في ذلك مقارنة بالمكتبة الورقية.

بينما يرصد "حافظ الشمري" للأدب الرقمي التفاعلي حزمة من السمات التي ينماز بها، ويجملها فيما يلي[24]:

- الانفتاح: بمعنى إمكانية تعدّد قراءات النّص الواحد واختلافها، تبعا لكيفية ملء المساحات الفارغة التي يتركها المؤلّف عمدا ويملؤها القراء بما يظهر تفاعلهم مع النّص عن طريق عمليات الإضافة والحذف والتعديل.

- تعدّد العلامات: والمقصود هاهنا هو اختلاف مصادر العلامات المستخدمة في التعبير الأدبي الرقمي، بما هي لغات مختلفة قوامها: الصورة، الصوت، الحركة،...وغيرها من البرمجيات الرقمية التي يتيحها استعمال الحاسوب فتتضافر مع اللّغة الطبيعية للنّص الإبداعي منتجة نصّا أدبيا إلكترونيا يخبر عن ثقافات مختلفة، ويستهوي متلقين مختلفين.
- الترابط: بمعنى أن النص الأدبي الرقمي مجلى ترابط العلامات التي تسهم في بنائه على اختلافها: الخطية(المكتوبة)، البصرية، السمعية، التي تتضافر لتمنح القارئ الإحساس بالقدرة على المشاركة فيما يقدّم له عن طريق الوسيط الذي يستخدم هذه الخاصية (الترابط).
- حرية البداية:بما أنّ البدايات غير محدّدة في بعض نصوص الأدب الرقمي(النصوص التفاعلية خاصة)، فإنّه بإمكان المتلقي اختيار نقطة البدء، ويتحقّق ذلك عبر الخيارات التي يحدّدها المبدع في أول مراحل كتابة النّص وتأثيثه بالتقنيات الرقمية، مما يمنح القراء سلك مسارات مختلفة أو بدايات غير متماثلة.
- اختلاف النهايات: يمكن معاينة اختلاف النهايات في معظم نصوص الأدب الرقمي(التفاعلي بشكل خاص)، ومردّ ذلك تعدّد الخيارات التي تتيحها طبيعة النّص لقرائه والتي تسمح لكل منهم بأخذ مسار مختلف عن الآخر، وهو ما ينتج عنه اختلاف النهايات واختلاف الرؤى أيضا.
- سرعة النشر وسهولته: وهي إحدى حسنات التكنولوجيا الحديثة والأنترنت بشكل خاص، على النص الأدبي، بما أتاحته له من سهولة النشر وسرعة الانتشار، بالإضافة إلى استثمار خصائص النص المترابط في تشكيل النص الأدبي وبنائه، بعيدا عن أعين الرقيب في دور النشر التقليدية، إذ تتقلّص مدّة الإعداد للنشر إلى مجرّد كبسة على زر بعد الانتهاء من كتابة النص، فإذا بالنص على صفحة موقع يطالعه القراء ويتفاعلون معه.

5. القارئ الرقمي: مميّزات و وظائف:

1.5 مفهوم القارئ الرقمي: يتحدّد قارئ النصوص الأدبية الرقمية في التصوّر الجديد لمفهومه بأنّه:"ليس هو المؤلف، فهو لا يملك المبادرة ولا التأثير ولكنّه لا تنقصه أي قدرة على تطوير وتنمية العمل الفنّي الرقمي والقدرة أيضا على تحويل صيرورته."[25] لذلك لم يعد قارئ الأدب التفاعلي مجرّد قارئ فقط، فإذا كان مفهوم القارئ "مناسبا لعصر القراءة، فإنّه لا يتناسب مع عصر مغاير يعتمد آليات جديدة مفارقة إلى حدّ كبير للآليات القديمة."[26]

يؤكّد "سعيد يقطين" هذا التحول في وظيفة القارئ بالقول إنّه "بات مع الوسيط قارئا ومشاهدا وسامعا، وهو يتفاعل مع النصّ الأدبي الرقمي. هذا القارئ لا يكتفي بمعرفة القراءة، ولكنّه يتوسّل بمعرفته بتقنيات الحاسوب الأساسية لحلّ المشاكل التي تعترضه في عملية التفاعل مع النص الرقمي."[27] ولعلّ أبرز ما يمكن ملاحظته في هذا (التحديد) لمفهوم القارئ الجديد هو أن معرفة القراءة بفك تشفير الحروف الخطية لم يعد يحّد القارئ أو يميّزه عمن لا يحسن القراءة، وهذا يعني أن القراءة لا تعني التلقي، بمعنى قد يقرأ الإنسان ولكنه لا يفهم ومن أجل تحقّق عملية التلقي يجب على "القارئ" أن يكون ملمًّا بتقنيات الحاسوب بغرض الفهم والتفاعل مع ما يقرأ، وهكذا فـ "إنّنا هنا لسنا أمام القارئ العادي أو حتّى المثالي الذي كانت تنظر له الكتابات الأدبية ما قبل الرقمية، إنّه بكلمة موجزة قارئ رقمي. وهذا القارئ لابدّ له من التوفّر على ميزات وأنماط إدراك خاصة تجعله مختلفا عن قارئ الكتاب الورقي."[28] فما هي هذه المميزات التي تجعل من قارئ الأدب الرقمي قارئا "خاصا"؟

2.5 مميزات القارئ الرقمي: يمكن معاينة مميزات القارئ الرقمي، في مساهمات الكتاب والنقاد العرب الرقميين، لنقرأ مساهمة "فاطمة البريكي":"وسمّي هذا النوع من الأدب تفاعليا لأنّه يعتمد في وجوده على التفاعل القائم بين المبدع والمتلقّي، وبين المتلقّي والنّص، وبين

مجموعة المتلقين المختلفين للنّص نفسه."[29] ولتعزيز هذا المفهوم بما يبرز صورة المتلقي، تحيل على كلام لها يشترط مواصفات خاصة لهذا المتلقي: " وإذا كان كلّ أدب تفاعلي في جوهره، إذ لا يكتسب النّص الأدبي وجوده إلّا بتفاعل المتلقي/المستخدم معه، فإنّ هذه الصفة كانت موجودة بالإدراك، ولم ينص عليها أو تصبح صفة ملازمة للنّص الأدبي إلّا بانتقاله من طوره الورقي التقليدي إلى طوره الإلكتروني الجديد."[30]

ويدعو "عبد النور إدريس" إلى المعرفة الواسعة بالتقنية الرقمية عند القارئ الجديد بما يجعلها شرط تحقّق التفاعل بين القارئ وما يقرأ. يقول: "يعتمد النص التفاعلي على قارئ ملمّ بالحدّ الأدنى من المعرفة الرقمية، قارئ تفاعلي لنصّ متشعّب Hypertexte hyperfiction يستخدم بالإضافة للنص الكتابي الرسوم التوضيحية والجداول والخرائط والصور الفوتوغرافية والصوت ونصوص كتابية (كولاج رقمي) وأشكال الغرافيك المتحركة باستخدام وصلات وروابط."[31] ويمكن إيجاز مميّزات القارئ الرقمي في العناصر التالية:[32]

- قدرات معرفية وآلية يستخدمها بشكل يتناسب مع شكل النص دون الاعتراض على كلّ ما هو جديد من شكل أو فكر.
- امتلاك المرونة الذهنية التي تمكنه من دمج المعلومات التي يحصل عليها في أنساقه المعرفية المستقرّة. ولأن يكون مستعدا للإفادة من القراءة وإنشاء ثوابت جديدة.
- القدرة على إثارة الأسئلة أثناء القراءة، واستثمار فضوله وفطنته في استخراج معاني النّص.
- تحقيق إتقان طريقة التفاعل المميّزة التي تتناسب مع معطيات العصر المتغيّرة، والقدرات المعرفية للمتلقّي الرقمي الذي يتطوّر تبعا لتطوّر التكنولوجيا الرقمية.

- ويستعير "الشمري" ميزة أخرى من "عبد الكريم بكار" هي أنّه على قارئ النصوص الرقمية أن يتحمّل مسؤولية متابعة كلّ ما هو جديد على ساحة التكنولوجيا الرقمية لمواكبة عصرنة النصوص وأساليب الكتابة المتجدّدة فضلا عن استيعاب الجديد بعقلية منفتحة.[33]

3.5 وظائف القارئ الرقمي: يمكن معاينة مجموع وظائف القارئ الرقمي فيما تنقله المراجع العربية المتخصصة عن "آرسيث" من طريق "راين كوسكيما Raine Koskimaa" وموجزها عند "فاطمة البريكي" التي تقول بهذا الشأن: " يرى (آرسيث) كما ينقل عنه (كوسكيما) أن التأويل جزء ملازم لكلّ قراءة. وعندما يقرأ قارئ نصّا إلكترونيا فإنّه، بالإضافة إلى التأويل، يبحر بفاعلية في طريقه في شبكة الإنترنت من خلال مسارات النصية المتفرّعة، وعلاوة على ذلك، قد يسمح للمتلقّي/ المستخدم بتشكيل النص، كإضافة وصلاته الخاصة إلى بنية النصّ المتفرّع، التشكيل يعني إعادة بناء النص في حدود معيّنة. أمّا الوظيفة الأخيرة للمتلقّي/ المستخدم فهي الكتابة، وتعني أنّه قد يسمح للمتلقّي/ المستخدم بالمشاركة في كتابة النّص، وقد يقصد بالكتابة (البرمجة–Programming)[34] ولكنّها، للأسف، لا تشرح (الكلمات المفاتيح) المحدّدة لوظائف القارئ الرقمي فيما تنقله، التي لا نطالع شرحها إلا بعد إحدى عشرة سنة من تاريخ نقلها إلى العربية في مؤلف الناقدة الرائدة والحصيفة، وذلك في جهد محمود للناقد"أحمد زهير الرحاحلة" الذي يشرح تلك (الكلمات المفاتيح) على النحو الذي يسمح بمعاينتها وفق ترتيب ورودها في نصّ "كوسكيما"[35]:

1.3.5 التأويل: وهو أول الكلمات الواردة في "بيان" وظائف القارئ الرقمي التي نقلتها "البريكي" عن "آرسيث" من طريق "كوسكيما" وهي إحالة مباشرة إلى الدلالة المتعارف عليها لوظيفة التأويل كما هي في النصوص الورقية أو التقليدية، بمعنى إعادة صياغة المفردات والتراكيب والتعليق عليها، و يتمّ التركيز عادة على مقطوعات غامضة أو مجازية يتعذّر فهمها، وهو أبسط مفهوم للتأويل. أمّا التأويل في أوسع معانيه، وهو المعنى المقصود في

وظيفة القارئ الرقمي، فيعني:"توضيح مرامي العمل الفنّي ككلّ ومقاصده باستخدام وسيلة اللّغة."[36]. ورغم أن هذه الوظيفة ليست لصيقة بالنص الأدبي الرقمي أو التفاعلي، كونها موجودة قبلهما، إلاّ أنّها قد تصبح "ذات دلالة مغايرة إن لم يكن المقصود بالتأويل الجزء الملازم للقراءة. أو إذا افترضنا أن مفهوم القراءة ذاته لم يعد هو ذلك المفهوم الذي ألفناه في الدرس النقدي قبل النصوص الرقمية، وهذه أبرز الاحتمالات التي ترتبط بهذه الوظيفة الجديدة."[37] لكن الظاهر هو أن عملية تأويل النص الرقمي لا تشكّل ملمحا مفارقا لما عهده النقد الأدبي إذ تشكل صورة من صور تلقي النص وقول ما تمّ فهمه.

2.3.5 الإبحار: المقصود هاهنا هي العملية التي يقوم بها القارئ/ المتلقي من الارتباط بشبكة الإنترنت من خلال التنقل بين المسارات النصية المتفرعة التي يتيحها النص الرقمي، إنه ببساطة: " الانتقال من عقدة إلى أخرى بواسطة النقر بواسطة الفأرة على الروابط لغاية محدّدة تتمثّل في البحث عن المعلومات ومراكمتها وتجميعها لهدف خاص. ويعطى للمتبحّر مصطلح خاص هو(المستعمل)، وبذلك يختلف الإبحار عن التصفح، لأنّ الإبحار بحث عن معلومات محدّدة وخاصة."[38] وهي عملية مرتبطة بالوسيط الجديد في نشر النصوص الإبداعية، وهي ما يسمح للمتلقي بأن يكون إيجابيا في المساهمة في إنتاج النصّ والتفاعل معه، وهكذا "يكون الإبحار..عندما يشرع المستعمل، وهو يتحرّك في جسد نصّ ما، في تنشيط الروابط التي تسمح له بالانتقال بين عقد النص المختلفة."[39]

3.3.5 التشكيل: تحيل هذه الوظيفة في معناها السطحي والمباشر على مساهمة المتلقّي في إعادة بناء النص الرقمي التفاعلي وتشكيله بنسبة معيّنة، متنقلا بين عقد النّص وروابطه وصولا إلى نهايته، ما يظهر في النهاية شكل مساهمته في تشكيل النص. وهذه ليست في مطلق الحالات من الوظائف الأساسية لقارئ النصوص الرقمية، إنها بالحري وظيفة القارئ

المتفاعل مع نوع معيّن من النصوص الرقمية هي بشكل خاص النصوص التفاعلية، وهي على العموم قضية إشكالية، يظهر فيها اختلاف مواقف النقاد بشكل متعارض في بعض الأحيان. لنقرأ مثلا موقف الناقدة (عبير سلامة) المتعارض مع ما سبق الاطلاع عليه من رأي (فاطمة البريكي) وهي تتحدّث عن وظيفة الإبحار ودور الروابط التشعبية: "قد تكون القصيدة التفاعلية نصّية، قوامها كلمات فحسب، أو متعدّدة الوسائط تستخدم واحدا أو أكثر من العناصر البصرية، الصوتية، المتحركة، وقد تكون خطيّة البناء، أو تشعبية، لكنها في جميع الحالات تمنح القارئ خيارات المشاركة في تشكيلها وتنقسم خيارات التشكيل إلى: تشكيل النص، وتشكيل مسارات امتداد النص."[40] لذلك هناك علاقة ارتباط بين وظيفة التشكيل ووظيفة الإبحار من جهة، بما يجعل من (الإبحار) أداة جيّدة أو تقنية ينتج عنها حتما (التشكيل)، ولو على مستوى تشكيل مسارات النص. أمّا تشكيل النص فأمر نسبي التحقق في النصوص الرقمية، والمتلقي في هذا المستوى ليس هو المتلقي في مستويات التأويل أو الإبحار، وإنما يقترب من مستويات الكاتب، ذلك أن وظيفة (التشكيل) ترتبط من جانب آخر بوظيفة الكتابة[41].

4.3.5 الكتابة: قد تفهم "الكتابة" كإحدى وظائف القارئ الرقمي بالمعنى المتعارف عليه للكتابة، وقد تفهم بمعنى "البرمجة"، وفي هذه الحالة فإنها تزوّد النص "بكل ملفات البرمجة والعرض التي يمكن للمتلقّي الدخول إليها، وإحداث ما شاء من إعادة هيكلة النص بما يتناسب مع ذوقه، دون المساس بالمتن، أي تقبل إضافة المتلقي ومشاركته في كتابة النص."[42] ولو أن ذلك ليس شرطا ضروريا لأن الكتابة ليست من الوظائف الأساسية للمتلقي، "يرى كوسكيما أن مطالبة المتلقّي/ المستخدم بالمشاركة في البرمجة شيء مألوف في نظرية (النص المتفرّع) بسبب صفة التفاعلية التي تلازمه، إذ يصبح القارئ كاتبا، ومع ذلك يظلّ هذا الأمر غير دقيق إلّا في بعض النصوص التي تعرض على قرائها وظيفة

الكتابة (وقد تكون مطالبة القارئ المشاركة في بعض النصوص مقبولة بالمعنى المجازي فقط) ومثل هذه النصوص قليل أو نادر إلى حدّ ما."[43]

يأخذ معظم النقاد بالمعنى الحقيقي لمفهوم الكتابة في النصوص الرقمية بالنسبة للقارئ، وهي وظيفة– شرط في النصوص التفاعلية لا يمكن تجاوزه، وهكذا تطالعنا المراجع المتخصّصة بمفاهيم للكتابة بوصفها وظيفة للقارئ لا تختلف عن مفهومها بوصفها عملية يقوم بها الكاتب الأصلي، ومنها نقرأ: "أمّا الكتابة في القصيدة التفاعلية فممكنة من المتلقي حين تتيح له إمكانيات الحاسوب أن يتحرك على فضاء الشاشة وفيه، بالقراءة والإضافة، وتحريك مكوّنات النّص عبر العقد والروابط التشعبية بشكل تقني فنّي بارع.[44] وربّما هذا الذي جعل من التأكيد على المعرفة الواسعة بالتطبيقات والبرمجيات التقنية شرطا مشتركا بين الكاتب الأصلي والمتلقي المبدع عند كلّ الباحثين والنقاد.

6. خاتمة:

يمكن معاينة ما أدّى إليه اجتياح التكنولوجيا لمختلف مناحي الحياة في العصر الحديث من ميلاد جنس تعبيري جديد صار يسمّى "الأدب الرقمي" عند بعض النقاد ، والأدب التفاعلي عند بعضهم الآخر، والأدب الإلكتروني عند آخرين، وتزخر مراجع هذا الجنس الجديد بمصطلحات تكشف في عمومها التحولات السريعة التي أصابت النصوص بنية الأدبية بفعل عرضها على الشاشة الزرقاء وجعلها معادلا لمفهوم النّص الرقمي، ما جعل المواضعة على تسمية المولود الجديد وشروط تحقّقه على مستوى نظرية الأجناس الأدبية وآليات قراءته وتقويمه موضوعا يتّسم بالفردية والانطباعية الذاتية أكثر من خضوعه لمعايير موضوعية معروفة مسبقا مستقرة في الأعراف النقدية.

ينتمي نص أدبي ما إلى جنس الأدب الرقمي أو التفاعلي بفعل توافره على مجموعة من الخصائص البنائية والتركيبية بالمعنى الشكلي المعروف مشفوعة بمجموعة من الخصائص التقنية والرقمية ليس آخرها ما يتيحه الحاسوب من روابط تشعبية ومسارات تمكّن المتلقي/ المستخدم من ممارسة وظيفة "الإبحار" و المشاركة في "كتابة" النص التفاعلي على وجه الخصوص كشرط قاعدي في تصنيف النص.

يتّصف قارئ النصوص الرقمية والتفاعلية بمميّزات خاصة غير تلك التي عرف بها قارئ النصوص الورقية، هي من صميم طبيعة النصوص الجديدة ووسيط نشرها، متبعا لذلك فهو يقوم في سبيل تلقي النص الرقمي والتفاعلي بمجموعة من الوظائف الجديدة، فرضتها عليه أيضا طريقة كتابة النصوص الرقمية والتفاعلية التي لا ترضى بقارئ سلبي يقرأ النصّ ثمّ ينصرف إلى غيره دون أن يترك أثرا لمروره على هذا النص.

7. قائمة المراجع

[1] أحمد زهير الرحاحلة، نظرية الأدب الرقمي، ج2، دار فضاءات، الأردن، ط1، 2021، ص10.

[2] فاطمة البريكي، الكتابة والتكنولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 2008، ص45.

[3] المرجع نفسه، ص45، 46.

[4] عمر زرفاوي، الكتابة الزرقاء، مدخل إلى الأب التفاعلي، دار الثقافة والإعلام، الشارقة، 2013، ص194.

[5] فليب بوطزتر، محمد أسليم، مجلة علامات، ع35، ص102.

[6] حافظ محمد الشمري، الأدب الرقمي بين ضبابية العولمة وتداعيات المشهد الثقافي، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، ط1، 2020، ص26.

[7] أحمد زهير الرحاحلة، نظرية الأدب الرقمي، ج1، دار فضاءات، الأردن، ط1، 2018، ص81.

[8] عبد النور إدريس، الثقافة الإلكترونية، مدارات الرقمية، دار فضاءات، الأردن، ط1، 2014، ص97.

[9] المرجع نفسه، ص230.

[10] سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص259.

[11] المرجع نفسه، ص9، 10.

[12] فاطمة البريكي، الكتابة والتكنولوجيا، مرجع سابق، ص223.

[13] أحمد زهير الرحاحلة، نظرية الأدب الرقمي، ج1، مرجع سابق، ص229.

[14] المرجع نفسه، ص80.

[15] المرجع نفسه، ص229.

[16] ينظر: عبد النور إدريس، الثقافة الإلكترونية، مدارات الرقمية، مرجع سابق، ص89.

[17] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[18] فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص49.

[19] أحمد زهير الرحاحلة، نظرية الأدب الرقمي، ج1، مرجع سابق، ص226.

[20] المرجع نفسه، ص227.

[21] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[22] ينظر: عبد النور إدريس، الثقافة الإلكترونية، مدارات الرقمية، مرجع سابق، ص92، 94.

[23] فاطمة البريكي، الكتابة والتكنولوجيا، مرجع سابق، ص43.

[24] ينظر: حافظ الشمري، الأدب الرقمي، بين ضبابية العولمة وتداعيات المشهد الثقافي، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، ط1، 2020، ص41، 43.

[25] إدمون كوشو، أسئلة النقد في الإبداع الرقمي، تر: عبده حقّي، مجلة طنجة الأدبية 2008، نقلا عن: أحمد زهير الرحاحلة، نظرية الأدب الرقمي، ج2، مرجع سابق، ص167.

[26] مصطفى الضبع، نصّ جديد ومتلق مغاير، قراءة في الملامح الجديدة للكتابة والتلقين الثقافة السائدة والاختلاف، كتاب الأبحاث، مؤتمر أدباء مصر، الدورة العشرون، مصر، 2005، ص373.

[27] سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، نحو كتابة عربية رقمية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 2008، ص200.

[28] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[29] فاطمة البريكي، الكتابة والتكنولوجيا، مرجع سابق، ص123-124.

[30] فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي،بيروت، الدار البيضاء،2006، ص50.

[31] عبد النور لإدريس، الثقافة الإلكترونية، مدارات الرقمية، مرجع سابق، ص99.

[32] ينظر: حافظ الشمري، الأدب الرقمي، بين ضبابية العولمة وتداعيات المشهد الثقافي، مرجع سابق، ص49، 50.

[33] ينظر: عبد الكريم بكار، القراءة المثمرة، مفاهيم وأليات، دار القلم، سورية، ط6، 2008، ص ص55، 73.

[34] فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، مرجع سابق، ص64.

[35] ينظر: أحمد زهير الرحاحلة، نظرية الأدب الرقمي، ج1، مرجع سابق، ص173-180.

[36] ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط3، 2002، ص88.

[37] أحمد زهير الرحاحلة، نظرية الأدب الرقمي، ج1، مرجع سابق، ص173.

[38] سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، مرجع سابق، ص257.

[39] سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، نحو كتابة عربية رقمية، مرجع سابق، ص33.

[40] عبير سلامة، الشعر التفاعلي، طرق للعرض طرق للوجود، منشور على الرابط:

http: // egyptianpoetry.arabblogs.com/abeer%20salama%20-%Alshe3r%20altafa3oly.htm

[41] ينظر: أحمد زهير الرحاحلة، نظرية الأدب الرقمي، ج1، مرجع سابق، ص 176، 177.

[42] حافظ الشمري، الأدب الرقمي، بين ضبابية العولمة وتداعيات المشهد الثقافي، مرجع سابق، ص51.

[43] فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، مرجع سابق، ص64.

[44] غركان رحمان، القصيدة التفاعلية في الشعرية العربية، تنظير وإجراء، دار الينابيع، ستوكهولم، 2010، ص86.